قالت العرب

القدس تجلس و الدماء / فوق الثياب و فوق أطواق الحمام / و تظل تقرأ
فى كتاب / الله فى القرآن و الإنجيل و التوراة يشهد / إن غربان الحدود
من اليهود / صلبوا على الأرض السلام

المشهد

العدد 359 – السنة الرابعة عشرة - الثلاثاء 1 سبتمبر 2026 - 18 ربيع الآخر 1448هـ

كتاب "الرهائن: 843 يومًا من التخلي" يكشف: تحذيرات عربية لنتنياهو مسبقا من "شيء كبير" تعده حماس قبيل 7 اكتوبر

شهدت الأيام الأخيرة من سبتمبر ٢٠٢٣ تصاعدا كبيرا للتوترات حول اسرائيل؛ فقد أدّت الهجمات المتتالية فى الضفة الغربية إلى تأجيج الأوضاع هناك، وكانت حشود من سكان غزة تتظاهر بانتظام عند السياج الحدودي، وعانت إسرائيل من صراع داخلى بسبب قوانين الانقلاب القضائي، وكان بإمكان أى شخص يراقب الأحداث بوضوح أن يشعر بأن التصعيد يترصّد فى كل زاوية.

تحذير إماراتي من 7 اكتوبر

فتح ودحلان والإمارات نقلوا تهديدات السنوار بزلزال قادم لاسرائيل (١ من ٢)

كان رئيس دولة الإمارات، الشيخ محمد بن زايد، يشعر بقلق بالغ؛ ويروى الرئيس إسحاق هرتسوغ، الذى تربطه علاقات ودية بابن زايد الوضع خلال تلك الفترة بالقول: "كان يتحدث معى كثيرًا عن هذا الأمر خلال الأشهر التى سبقت الحرب، وكان يبعث باستمرار برسائل مفادها أن الوضع يحتاج إلى التهدئة، بل أرسل مبعوثًا خاصًا إلى إسرائيل التقى رئيس الوزراء؛ وبدا أن الشيخ كان يشعر بأن المنطقة على وشك الانفجار".

كان ابن زايد يتحدث فى الوقت نفسه مع رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو مباشرةً؛ وكانت هذه المحادثات تجرى وفق إجراء معتاد، إذ كان ممثل عن السفارة الإماراتية يتوجه إلى مكتب رئيس الوزراء حاملًا جهاز هاتف خاصًا يضمن سرية الاتصال.

لكن الاتصال الذى بادر إليه ابن زايد هذه المرة كان غير معتاد؛ فقبل أسبوع ونصف من السابع من أكتوبر ٢٠٢٣، اتصل الرئيس الإماراتى بنتنياهو من قصر الرئاسة فى أبوظبي، وتحدث معه مدة ٤٥ دقيقة، وحذّر ابن زايد خلال تلك المحادثة، من أن يحيى السنوار، قائد حركة حماس فى غزة، كان يخطط لتنفيذ عملية كبيرة ضد إسرائيل، وأعرب عن قلقه من أن الحدث المرتقب لن يؤدى إلى إراقة الدماء فحسب، بل سيزعزع أيضًا استقرار المنطقة بأكملها ويقوّض اتفاقات أبراهام.

وتقول ثلاثة مصادر أجنبية رفيعة المستوى إنها مطلعة على مضمون المحادثة، التى يُكشف عن وجودها هنا للمرة الأولى؛ وجاء الكشف عنها نتيجة بحث موسّع استند إلى عشرات المصادر فى إسرائيل ومختلف أنحاء العالم، من بينهم مسؤولون رفيعو المستوى، إضافة إلى تسجيلات ووثائق داخلية ومراسلات.

أجرى هذا البحث من أجل الكتاب الجديد "الرهائن: ٨٤٣ يومًا من التخلي"، الصادر باللغة العبرية عن دار كينيرت زمورا للنشر، ومن تأليف كاتبى هذا المقال.

وكان حاضرًا خلال المكالمة أيضًا مستشار مقرّب من ابن زايد، وهو فلسطينى هاجر قبل سنوات من غزة إلى أبوظبي، وظل يحتفظ بعلاقات قوية داخل القطاع.

ووفقًا للمستشار، شدّد الرئيس الإماراتى أمام نتنياهو على ضرورة الاستعداد لمواجهة الخطر؛ ويقول: "أوضح الشيخ أنه يعتقد أن السنوار كان يستعد لحدث كبير، وقال لنتنياهو إن على إسرائيل أن تكون مستعدة، وأوصى فى الوقت نفسه بمحاولة إيجاد حل اقتصادى للقطاع وتهدئة الضفة الغربية لمنع التصعيد".

وحثّ ابن زايد نتنياهو على التعامل مع الوضع بجدية، لكن رئيس الوزراء، على نحو أثار دهشته، ردّ بهدوء نسبي، وقال نتنياهو إنه يعتقد أن حماس تعتزم التحرك فى منطقة الضفة الغربية، وطمأن ابن زايد إلى أن إسرائيل مستعدة لأى سيناريو.

وروى الرئيس الإماراتى فى وقت لاحق تفاصيل المحادثة التى أجراها مع نتنياهو، كما نقل التحذير نفسه إلى مدير وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية، وليام ج. بيرنز.

وشارك ابن زايد مع بيرنز الشعور الذى حاول إيصاله إلى نتنياهو، وهو أن "شيئًا ما هناك على وشك الانفجار"، وأبلغه بأن رئيس الوزراء الإسرائيلى كان يعتقد أن المنطقة القابلة للانفجار هى فى الواقع الضفة الغربية.

ويقول المستشار: "كان الشيخ يأمل فى أن يأخذ نتنياهو الرسالة على محمل الجد ويتحرك، رغم رده المتحفظ"، ولم يتخيل أيٌّ منهما أنه لن يطلع عليها رؤساء الأجهزة الأمنية، فلم يكن رئيس جهاز الشاباك ولا رئيس الموساد ولا رئيس أركان الجيش الإسرائيلى على علم بتحذير ابن زايد.

ولكى نفهم مصدر هذا التحذير غير المعتاد، ولماذا نُقل تحديدًا من خلال رئيس دولة الإمارات، ينبغى العودة إلى ما جرى خلف الكواليس خلال الأشهر السابقة للهجوم، ففى تلك الأشهر، وبعلم نتنياهو وموافقته، أجرت إسرائيل محادثات مع حماس بشأن "هدنة" مؤقتة تهدف إلى التوصل إلى ترتيب طويل الأمد فى القطاع.

وبدأت الاتصالات سرًا فى مطلع عام ٢٠٢٣، بالتزامن مع وصول حكومة نتنياهو اليمينية المتطرفة إلى السلطة، وكلّف السنوار غازى حمد، عضو المكتب السياسى لحركة حماس، بهذه المهمة، حيث يتحدث حمد العبرية بطلاقة، وسبق أن شارك فى الاتصالات السرية التى أفضت إلى إطلاق سراح الجندى الأسير جلعاد شاليط.

وفى الوقت نفسه، جرى الاستعانة بمسؤول بارز فى حركة فتح يتحدث العبرية بطلاقة أيضًا، وسيُشار إلى ذلك المسؤول هنا باسم (عيون الفحم)، وهو اسم مستعار استُخدم بدافع الحذر، ويُعرف الرجل بأنه شخصية موثوق بها ومقبولة لدى كل من حماس وجهاز الشاباك، وكانت مهمته نقل الرسائل بين الطرفين، حتى لا يبدو أن هناك اتصالًا مباشرًا بين حماس وإسرائيل.

لكن هذه المحادثات كانت فى الواقع شبه مباشرة، فقد كان غازى حمد و "عيون الفحم" يجلسان فى منزل ناصر السراج فى غزة، وهو مسؤول شغل سابقًا منصب نائب مدير وزارة الشؤون المدنية فى السلطة الفلسطينية، وكان عادى روتم، مسؤول ملف الأسرى والمفقودين فى جهاز الشاباك، على الجانب الإسرائيلى من الاتصال.

ولأن الاضطرابات فى غزة قد تلحق الضرر بمصر أيضًا، استند جزء كبير من المناقشات إلى تفاهمات جرى التوصل إليها مسبقًا بين القدس والقاهرة، ولكن "أخفيت هذه القناة المباشرة بأكملها عن المصريين، خوفًا من أن يشعروا بالإهانة بسبب استبعادهم، ولذلك تحولت إلى قناة شخصية يرعاها نتنياهو"، وفقًا لأحد أعضاء فريق الشاباك المشاركين فى التحضير للمحادثات.

وركّزت المحادثات فى البداية على رفع الحصار المفروض على غزة تدريجيًا، وزيادة كميات الغذاء والمواد الخام التى تدخل القطاع، كما طُرحت فكرة جديدة تقضى بإنشاء مناطق تجارية على طول حدود القطاع مع إسرائيل ومصر، بما يوفر آلاف الوظائف لسكان غزة العاطلين عن العمل.

وكان المصريون مستعدين أيضًا للسماح بإنشاء "ممر آمن" لسكان القطاع فى طريقهم إلى مطار شرم الشيخ، الأمر الذى كان سيمنحهم منفذًا إلى العالم.

وطرح كذلك اقتراح لتزويد القطاع بالغاز الطبيعى من حقل (غزة مارين)، الذى اكتُشف عام ٢٠٠٠ قبالة ساحل القطاع، وأطلق على الاقتراح اسم (G٤G) أى (الغاز من أجل غزة).

وبحلول صيف عام ٢٠٢٣، بدا أن جميع المسائل الاقتصادية قد حُلّت، ولم يبقَ على جدول الأعمال سوى القضية الأكثر حساسية، وهى الإفراج عن الإسرائيليين المحتجزين وجثامين الجنود الموجودة فى قطاع غزة؛ ففى مقابل إعادة أفرا منغيستو وهشام السيد وجثمانى هدار غولدين وأورون شاؤول، طالب السنوار بالإفراج عن ٥٠٠ أسير من حركة حماس، ثم وافق لاحقًا على خفض العدد إلى ٢٥٠ أسيرًا، وبعد مفاوضات شاقة، وافق على إطلاق سراح ٥٠ أسيرًا فقط.

وكان جهاز الشاباك يميل إلى قبول الإفراج عن ٣٠ أسيرًا، بينهم ٢٠ محكومًا بالسجن المؤبد، من قائمة عُدّت "مقبولة" بالنسبة إلى إسرائيل، مقابل إعادة الإسرائيليين الأربعة.

وكانت الأجواء متفائلة إلى درجة أن (عيون الفحم) كان يفيد مرارًا بأن التوصل إلى اتفاق مع إسرائيل أصبح أقرب من أى وقت مضى، وأن الطرفين ينظران إلى المقترحات بوصفها "خيارات قابلة للتنفيذ".

ويقول أحد مسؤولى حماس المشاركين فى مبادرات التوصل إلى هذا الترتيب: "كان يخرج متحمسًا فى كل مرة، ويقول لزملائه: الأمر يحدث".

ويؤكد مصدر أمنى إسرائيلى شارك فى التحضير للمحادثات أنه "بحلول نهاية أغسطس/آب ٢٠٢٣، وافق نتنياهو على الإفراج عن ٣٠ أسيرًا، بينهم ٢٠ محكومًا بالسجن المؤبد، على أن يختارهم جهاز الشاباك"، ووفقًا للمصدر، "كان كل ما يلزم فى هذه المرحلة هو موافقة اللجنة الوزارية لشؤون الرهائن والمفقودين، إذ تُشترط موافقتها للإفراج عن الأسرى، وخصوصًا المحكومين بالسجن المؤبد".

لكن نتنياهو أجّل مرارًا عقد اجتماع اللجنة، وربما فعل ذلك خوفًا من التوصل إلى اتفاق مع حماس، أو خشية رد فعل شركائه المتطرفين فى حكومته الجديدة.

وكان يقول لممثلى الشاباك الذين أداروا قناة الاتصال مع حماس إنه يخشى تسرّب القصة إلى وسائل الإعلام، ويصف المصدر ما حدث قائلًا: "وهكذا ظل الأمر عالقًا أسبوعًا بعد أسبوع".

وعندما بدأ السنوار يُظهر علامات الاستياء من غياب التقدم، حاول غازى حمد و (عيون الفحم) طمأنته بأن سبب التأخير هو انشغال نتنياهو بالاضطرابات الكبيرة التى كانت تشهدها إسرائيل آنذاك، والمتمثلة فى المضى قدمًا بخطة تعديل النظام القضائى والاحتجاجات الشعبية الحاشدة التى اندلعت على إثرها.

وفى ظل استمرار الاضطرابات الداخلية فى إسرائيل، تعزز لدى محور المقاومة الذى يضم إيران وحماس وحزب الله اعتقادٌ بأن إسرائيل أصبحت أكثر ضعفًا، وأن بإمكانهم توحيد الجبهات وشن حملة منسقة لهزيمتها.

وتُظهر وثائق داخلية أن كبار مسؤولى حماس بدأوا فى ذلك الوقت تكثيف طلباتهم إلى إيران للحصول على مساعدة لتمويل الهجوم.

ثم، فى مطلع سبتمبر/أيلول ٢٠٢٣، قطع السنوار فجأة جميع اتصالاته بفريق التفاوض، ويقول مسؤول بارز فى الشاباك: "لقد اختفى ببساطة من شاشات رصدنا، وتبخّر"، ويوضح مصدر فى حماس أن صبر السنوار نفد بسبب بطء الإسرائيليين، وهكذا انقطعت قناة الاتصال المباشرة التى أُنشئت بين مسؤول الشاباك عادى روتم ومسؤول حماس غازى حمد، والتى كانت تُدار بموافقة نتنياهو.

وبالمناسبة، استأنفت هذه القناة نشاطها الكامل بعد عام من هجوم السابع من أكتوبر/تشرين الأول، وتحديدًا فى سبتمبر/أيلول ٢٠٢٤، عندما ظهرت حاجة ملحّة إلى انتشال صفقة الرهائن المتعثرة من مأزقها.

وفى سبتمبر/أيلول ٢٠٢٣، وقبل أن يُحسم الأمر مباشرة، رتّب السنوار لقاءً خاصًا مع مسؤول حركة فتح الملقب بـ(عيون الفحم)، وقال السنوار له بلهجة حاسمة: "أبلغ الإسرائيليين بأنهم إذا لم يحرزوا تقدمًا، فأنا أُعدّ لهم مفاجأة هائلة".

وهنا استخدم للمرة الأولى كلمة محورية كان ينبغى أن تُطلق إشارات التحذير: "أبلغهم بأن يتوقعوا زلزالًا".

خرج (عيون الفحم) من المحادثة وهو فى حالة اضطراب، وقرر استشارة صديق مقرّب له، وهو الفلسطينى نفسه الذى هاجر من غزة إلى أبوظبى وكان يعمل مستشارًا مقرّبًا لابن زايد.

ويروى المستشار: "كان عيون الفحم مضطربًا، وكان واضحًا له أن العملية التى يتحدث عنها السنوار قد تؤثر فى الشرق الأوسط بأكمله، لكنه كان يخشى إبلاغ الشاباك بالمعلومات مباشرة، وكان خوفه أكبر من أن يتهمه الإسرائيليون بالتعاون مع السنوار إذا لم يُطلع الشاباك عليها. لقد كان يخشى حقًا على حياته، ولذلك قرر نقل الرسالة إلى ابن زايد".

وسأل ابن زايد المستشار، الذى نقل إليه تحذير السنوار: "ما معنى هذا؟".

فأجابه المستشار: "إذا قال زلزالًا، فهو يقصد الحرب".

فسأل الشيخ: "هل أنت متأكد؟"

وردّ المستشار: "لا، هذا تفسيري، وهذا أيضًا ما فهمه عيون الفحم".

فكر الرئيس الإماراتى فى الأمر، لكنه ظل غير متأكد، وكان يقلقه احتمال أن يؤدى مجرد التحذير من نية حماس إشعال حرب، وسط التوترات الإقليمية القائمة، إلى تفجير الأوضاع، وربما يدفع إسرائيل إلى تنفيذ ضربة استباقية.

وفى النهاية قرر قائلًا: "إذا لم نكن متأكدين، فلن ننقل أى تحذير إلى الإسرائيليين فى الوقت الراهن. سنحقق فى الأمر بعناية حتى نتأكد".

طلب من (عيون الفحم) عقد لقاء آخر مع السنوار فى غزة، لفهم مدى جدية تهديده، وعُقد اللقاء فى منتصف سبتمبر/أيلول ٢٠٢٣.

سأل السنوار: "حسنًا؟ هل نقلت الرسالة إلى الإسرائيليين؟"

أجابه الوسيط: "لا".

أخذ السنوار نفسًا عميقًا، ثم قال له بصوت هادئ على نحو يبعث على القشعريرة: "انقل إليهم رسالة مفادها أننى أعدّ لهم أمّ المفاجآت؛ عملية مرعبة وشيئًا استثنائيًا".

ومرة أخرى، ردّد السنوار كلمة "زلزال" بلسانه، ثم طالب قائلًا: "أرجوك، انقل إلى الإسرائيليين ما أقوله حرفيًا".

واتصل "عيون الفحم" من غزة بمستشار ابن زايد لينقل إليه كلمات السنوار.

اثناء هجوم 7 أكتوبر

اجتماع للقيادات الإسرائيلية قبل 7 أكتوبر

هجوم 7 أكتوبر

ويتذكر المستشار: "طلبت منه جميع التفاصيل، بما فيها لغة جسد السنوار ونبرة صوته الدقيقة والسياق الذى قيلت فيه الكلمات، وخصوصًا ما يتعلق بالتحذير من الزلزال".

وأضاف: "اقترحت عليه أن يغادر قطاع غزة سريعًا ويلتقينى فى منزلى لإجراء محادثة خاصة. وبحلول نهاية اللقاء، أدركت أننا، أنا وعيون الفحم، لم نخطئ فى فهم الرسالة: كان السنوار يعتزم خوض حرب".

وأطلع المستشار ابن زايد على الانطباع الذى خرج به من محادثته مع "عيون الفحم"، وأدرك الرئيس الإماراتى حجم التهديد، وقرر أنه "يجب نقل رسالة السنوار إلى الإسرائيليين، وإلى أعلى المستويات هناك، فى أسرع وقت ممكن".

وفى تلك الأيام ايضًا، تلقى مكتب رئيس الوزراء اتصالًا مشابهًا من رئيس المخابرات المصرية، اللواء عباس كامل، الذى حذّر نتنياهو من أن حماس تستعد لتنفيذ "أمر غير معتاد، وعملية مرعبة".

وتروى الصحفية سمدار بيري، التى نشرت تفاصيل المحادثة فى صحيفة يديعوت أحرونوت، أن نتنياهو قال أيضًا لعباس كامل: "نحن مطلعون على الوضع فى غزة ونسيطر عليه. مشكلتنا فى الضفة الغربية، ولذلك ننقل القوات إلى هناك أيضًا".

وأوصى رئيس جهاز الشاباك مرة أخرى فى الأول من أكتوبر/تشرين الأول، وخلال مناقشة بشأن الاضطرابات عند حدود غزة ومعلومات تشير إلى نية حماس تنفيذ هجوم فى الضفة الغربية، باستهداف كبار مسؤولى حماس، ومن بينهم السنوار، الذى "بدأ يُظهر علامات الغرور".

وكما فعل فى المرات السابقة التى عُرض فيها عليه هذا الاقتراح، أجاب نتنياهو: "أعدّوا لى الخطط وسأنظر فيها".

ويوضح مسؤول دفاعى رفيع المستوى: "لم يقل لا قط. كانت هذه دائمًا طريقته فى تأجيل التعامل مع المشكلة".

ويتذكر مسؤول بارز آخر حضر المناقشة أن رئيس الوزراء قال فى ختام الاجتماع: "واصلوا العمل على تطوير القدرة، لكن اعملوا فى الوقت الراهن على تهدئة الوضع"، وطوال الاجتماع، لم يذكر رئيس الوزراء الاتصالات التحذيرية التى كان قد تلقاها.

ويقول مسؤول رفيع فى الشاباك: "لو كنا نعلم بهذه التحذيرات، فربما كانت ستمنح الرسالة الأولى التى تلقيناها من السنوار وزنًا أكبر، وربما كانت ستوضح أيضًا الدافع وراء انسحابه المفاجئ من المحادثات فى مطلع سبتمبر، ومن الممكن أننا كنا سنربط الأمور بعضها ببعض ونتوصل إلى نتيجة مختلفة تمامًا عن النتيجة التى توصلنا إليها؛ نتيجة كانت ستغيّر تقييمنا الكامل للوضع".

نتنياهو والسنوار

تعود جذور العلاقة المعقدة بين نتنياهو والسنوار إلى سنوات طويلة، وتحديدًا إلى إطلاق سراح السنوار من السجن الإسرائيلى ضمن صفقة شاليط عام ٢٠١١.

بدأ السنوار وضع استراتيجية جديدة تقوم على مسارين وتهدف إلى إخراج غزة من أزمتها، بعد أن أحكم قبضته بلا رحمة على جميع مراكز القوة فى القطاع.

ويقول مسؤول استخباراتى رفيع كان يعرف السنوار عن قرب فى ذلك الوقت: "كان السنوار يضع خيارين نصب عينيه منذ مرحلة مبكرة، وربما حتى منذ وجوده فى السجن".

وأضاف: "لقد سرّع تطوير القدرات العسكرية لحماس، وحوّل الحركة إلى جيش مسلح قوى دخل فى مواجهات متكررة مع إسرائيل، ومن جهة أخرى، ترسّخ لديه إدراك بأن غزة تعرّضت لهزيمة حاسمة فى جميع جولات القتال"، وتابع: "لذلك، وعلى الرغم من كل كراهيته لإسرائيل، رأى أنه ينبغى منح فرصة لمحاولة التوصل إلى ترتيب يسمح بحياة طبيعية فى غزة، حتى قبل الدفع بجيش حماس إلى التحرك إذا لم يتحقق ذلك الترتيب".

وقرر السنوار اتخاذ خطوة مفاجئة عام ٢٠١٧؛ إذ تواصل مع خصمه اللدود، القيادى السابق فى حركة فتح ورجل الأعمال الحالى محمد دحلان، وكان الاثنان، وهما من أبناء خان يونس، يعرفان بعضهما منذ أيام الدراسة الجامعية فى غزة، وكانت بينهما عداوة شديدة منذ ذلك الوقت.

وتصاعد التوتر عندما شن دحلان، بصفته رئيس جهاز الأمن الوقائى فى السلطة الفلسطينية إبان حكمها لقطاع غزة، حربًا شاملة على قادة حماس، وعندما استولت حماس على السلطة فى غزة بالقوة، وُضع دحلان على رأس قائمة الاغتيالات.

لكن السنوار أصبح يعتقد أنه يستطيع الاستفادة من دحلان ومن العلاقات التى أقامها مع كل من الحكومة المصرية وأجهزة الأمن الإسرائيلية.

هاآرتس الاسرائيلية
ترجمة: محمد مجدي